لنذهب إلى بعض النحاة لنعرض رأيهم ثم نعود إلى الخليل مرة أخرى يقول الرضى[1] « واعلم أن التعجب انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه ، ولهذا قيل إذا ظهر السبب بطل التعجب » هل يمكن أن يكون هذا الانفعال نوعاً من المدح أو الذم حيث يكون الشعور رضا أو غضبا ، يقول ابن يعيش[2] « اعلم أن التعجب معنى يحصل عند المتعجب عند مشاهدة ما يجهل سببه ، ويقل فى العادة وجود مثله ، وذلك المعنى كالدهش والحيرة » هل يكون معنى الدهش والحيرة المشار إليهما نوعاً من المدح أو الذم ؟ يشير سيبويه إلى المثال الذى يقول : ما أحسن عبد الله ثم يقول[3] : « زعم الخليل أنه بمنزلة قولك : شىء أحسن عبد الله ، ودخله معنى التعجب . وهذا تمثيل ، ولم يتكلم به » هل يمكن الإحساس بالمدح فى مثل هذا المثال ، ويكون الإحساس بالذم فى مثل قولنا : ما أسوأ هذا الطقس مثلاً . لعل ما أورده المبرد من هذا القبيل حينما يقول[4] : « فإن قال قائل : أرأيت قولك : ما أحسن زيداً ، أليس فى التقدير والإعمال - لا فى التعجب - بمنزلة قولك : شىء حسّن زيداً ، فكيف تقول هذا فى قولك : ما أعظم الله يا فتى وما أكبر الله ؟ قيل له : التقدير على ما وصفت لك . والمعنى : شىء عظم الله يا فتى ، وذلك الشىء الناس الذين يصفونه بالعظمة ، كقولك : كبّرت كبيراً وعظّمت عظيما» وما وصف الناس هذا إلا نوع من المدح والتعظيم للمولى عزّ وجل . ولعل تفسير الخليل وتعليقه فى كتابه (الجمل) على المثال نفسه الذى

---

(١) شرح الكافية ٢/٣٠٧ .

(٢) شرح المفصل ٧/١٤٢ .

(٣) الكتاب ١/ ٧٢ .

(٤) المقتضب ٤/١٧٦ .